تجديد المنهج في الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي ـ الكتابة الأدبية أنموذجا ـ

بقلم
جمال الأشراف (*)

ملخص

يهدف هذا المقال إلى إبراز تجديد المنهج في الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي، ممثلا في تفعيل آلية الكتابة الأدبية، بتحميلها مضامين عقدية، تغرسها في عقول ونفوس الناشئة والشباب؛ كالتأكيد على التوحيد وأبعاده، والإيمان بالصفات الإلهية، وأثرها الأخلاقي والمعرفي، ونفخ روح المحبة في القلوب، وتجديد الثقة بالنبوة المحمدية، وإذكاء محبته ﷺ، وتعميق الصلة به، والتأكيد على الإيمان بالآخرة، في عصر تسللت فيه كثير من التصورات والقيم المادية إلى عقول وقلوب أبناء الإسلام عبر الكتابة الأدبية، وهذا المقال محاولة لإبراز معالم هذا العمل التجديدي، ولفت نظر المهتمين بالموضوع لتوسيع وتعميق البحث، وتراكم الدراسات في هذا الشأن بما يعود على أمتنا بالخير.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الخطاب العقدي، أبو الحسن الندوي، الكتابات الأدبية.

المقدمة

تميز عصرنا بانفجار غير مسبوق في الإنتاج الفكري والأدبي، ساهم في شيوعه وانتشاره؛ وفرة وسائل النشر والتواصل بفعل الثورة التكنولوجية الأخيرة.

إلا أن هذه الوسائل بقدر ما تسببت في نشر الثقافة والتعليم، وحسرت دائرة الأمية فإنها عملت على نقل تصورات وأفكار منافسة للأديان عموما والإسلام خصوصا، وأفرزت

(*) باحث مسجل في مرحلة دكتوراه العلوم بكلية أصول الدين، بإشراف: د. عبد المالك بن عباس (benabbasmalek303@gmail.com) وعضو بمخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان ـ جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر. وأستاذ مساعد بمعهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي ـ الجزائر. lachrafdjamel@gmail.com

أجيالا متشبعة بروح الفلسفات والأفكار والقيم الغربية، على حساب حقائق الدين وقيمه.

فانبرى الغيارى من علماء الإسلام وأدبائه، إلى صد هذه الروح المادية المتشكلة في مذاهب عدة، والتي تغلغلت في الذات المسلمة بوسائل شتى منها: الأعمال الأدبية المتنوعة، كالقصة والرواية والشعر...الخ

ويعتبر الشيخ الندوي أحد أعلام الأدب الإسلامي الذين سخّروا الكتابة الأدبية كآلية لتوصيل المضامين العقدية الإسلامية، معتبرين ذلك نوعا من التجديد في الخطاب العقدي وخروجا عن المألوف المتداول في الدرس الكلامي التقليدي.

ويتعين قبل الشروع في بيان مظاهر هذا التجديد أن نعرف بالخطاب في اللغة والاصطلاح.

1ـ مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح:

أ-الخطاب لغة: تنضوي لفظة " خطاب " في المعاجم اللغوية تحت مادة " خطب " وهي تفيد في لسان العرب لابن منظور:" خطب فلان إلى فلان فخطبه، وأخطبه أي: أجابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان".[1]

والخطاب بهذا المعنى لا يخرج عن صيغة التخاطبية بين شخصين، بما هي تبادل الكلام بين مرسل ومتلق.

ب – الخطاب اصطلاحا:

- يعرف الخطاب في تراثنا بأنه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام "[2]، وهو تعريف للخطاب بمعنى المصدر (المخاطبة) ؛ مما يتوافق مع المعنى اللغوي لهذه اللفظة.
- وقد عرفه علماؤنا بتعاريف شتى نختار منها تعريف الآمدي: بقوله:" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه "[3]، ويفهم من تعريف الآمدي أن الخطاب:

- مقصور على الملفوظ، ولا يمنع من دخول المكتوب فيه.
- يشترط في الخطاب أن يكون مقصودا، موجها إلى عاقل مصغ لكلام قائله.
- أن يكون اللفظ متواضعا عليه أي ما يقبل الفهم استنادا إلى معطيات الوضع أو السياق.

ويعتبر هذا التعريف من أجمع التعاريف لاحتوائه على العناصر المكونة للخطاب.

أما الندوي فلم يستعمل مصطلح "خطاب" فيما أثر عنه من خطب، ومحاضرات ومؤلفات، وإنما استخدم مصطلحا آخر لعله أعمق غورا، وأبعد دلالة هو مصطلح" رسالة " لما يحمله من أمانة تبليغه وتلقيه.

يقول في ذلك الندوي:"... ولكن حاجتنا وحاجة هذا العهد وحاجة العالم العربي بصفة خاصة هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية المتدفق بالقوة الذي يحمل رسالة سامية سماوية إنسانية، إسلامية عالمية " [4] فالذي يريد الندوي تبليغه ليس مجرد خطاب يلقى، أو ينقل مكتوبا، وإنما هو نظام حياة يؤخذ ويعمل به ليؤتى أكله بإذن الله عز وجل. وقد يكون هذا الأمر ليس جديدا، فهو دأب الأنبياء في توجيه الأمم.لكن الجديد عند الندوي هو تجديد الوسائل والقنوات التي تنقل بها هذه الرسالة وهذا الخطاب.

2. أهمية الخطاب العقدي عند الندوي ومظاهر تجديده:

إن سعي الندوي إلى تجديد قنوات الاتصال بالرسالة المحمدية من جديد ينم عن اطلاعه على ما توصلت إليه علوم الاتصال الحديثة من تطور، وما حققته من نتائج باهرة، خاصة في مجال شد المتلقي إلى مرسلة معينة قد تكون ذات طابع اقتصادي، سياسي، أدبي ثقافي، فقد يكون ذلك مما دعا الندوي إلى البحث عن قنوات جديدة لبث خطابه العقدي أملا منه في شد انتباه المتلقي المسلم من جديد إلى الرسالة المحمدية عقيدة وسلوكا، وإدامة إقامة هذا الاتصال، عودة بالأمة إلى سابق عهدها الراقي كونها خير أمة أخرجت للناس.

وقد يسأل سائل لماذا يسعى الندوي إلى إيجاد مثل هذه القنوات الجديدة، أليست القنوات القديمة موفية بالغرض ؟

فنجيب بأن القنوات القديمة: إما هي متخصصة، فلا يمكن تواصل العموم معها، وإما هي قديمة لا تتماشى مع سياق الحداثة الذي يعيشه المجتمع المسلم، وما يلفه ويحيط به من تحديات، ما يؤدي به في الأخير إلى النفور من تلك القنوات القديمة، والإقبال على تلك الوسائل ذات المضمون المناقض للعقيدة الإسلامية.

وعلى ذلك كان من الضروري البحث عن وسائل وقنوات جديدة لتمرير الخطاب العقدي ينسجم معه المسلم المعاصر ويتوافق، ويعمل بموجبه، ولا يحيد عنه

ومن مظاهر تجديد الندوي في هذا السياق اختياره لقناتين كان لهما دور كبير في نهضة الأمم الغربية وهما:

قناة الأدب كإبداع فني بما له من أجناس وأنواع.

قناة التربية والتعليم بما لها من مناهج وأطر.

3- تجديد وسائل الخطاب العقدي عند الندوي :

شهد القرن العشرون تطورا علميا وتكنولوجيا رهيبا، ألقى بظلاله على نواحي الحياة المختلفة للبشرية، فتطورت الفنون والآداب على مستوى الإبداع والدراسة والنقد والتحليل، فظهرت بذلك روائع أدبية وفنية استقطبت شرائح واسعة من الناس، فأقبلت على قراءتها والاهتمام بها كالقصة والرواية...

ولأن الندوي يتمتع بتكوين أدبي فضلا عن تكوينه الديني، آثر استثمار هذا الإقبال على الأدب بأجناسه المختلفة لتمرير خطابه العقدي. فدعا إلى إيجاد أدب إسلامي يحقق القيم الروحية للدين من جهة، ومن جهة أخرى يعتني بالقيم الفنية التي تحقق الانجذاب إليه، فيكون هذا الأدب أدبا رساليا يتعالى عن الابتذال المشاهد في بعض الآداب، ويحقق المتعة الفنية المطلوبة ويرسل رسالة جادة تحي موات القلوب، وتبعث الأمة من جديد.

يقول الندوي: "إخواني وسادتي ! إنني أتصور الأدب كائنا حيا له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة جازمة، وله هدف معين يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك، فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت خامد... فالأدب ليس أداة تسلية، وإلهاء نفس، وإزجاء وقت فحسب، وإن الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، وللتأثير في النفس الإنسانية"[5].

وعليه كان الأدب قناته الأولى لتمرير عقيدة الإسلام وقيمه وآدابه، إلى بنيه وللعالم بأجمعه من جديد. وكما كان قطاع التربية والتعليم قناته الثانية التي أولاها اهتماما بالغا لما شهده من تأثير هذا القطاع في نشأة الأجيال على عقيدة الغرب وقيمه بفعل تطبيق المناهج الغربية في المدارس الإسلامية، فنشأت أجيال تعاني التغريب عن هويتها الحضارية، وقيمها الروحية.

ولعظم خطر هذه القناة، وعظم تأثيرها أولاها الندوي اهتماما كبيرا محذرا من خطورتها،

إلا أنه مع ذلك لم يدع إلى إلغاء مناهج الغرب بالكلية؛ وإنما دعواه تكييف هذه المناهج، وجعلها مواد خام لبناء نظام تعليمي، يفرز أجيالا منتمية إلى دينها عقيدة وسلوكا، فيقول متحدثا عن كيفية التعامل مع مخرجات الحضارة الغربية: "معاملة الحضارة الغربية بعلومها ونظرياتها، واكتشافاتها، وطاقاتها كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر، وولاة الأمور في العالم الإسلامي حضارة عصرية مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانب آخر، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم وبلادهم وما ينفع عمليا، وما ليس عليه طابع غرب وشرق، ويستغنون عن غيره، ويعاملون الغرب كزميل وقرين".[6]

وسيقتصر الحديث في هذا المقال عن قناة الأدب؛ لأن قناة المناهج التعليمية تحتاج إلى مقال بحيالها، استيفاء لحق الموضوع من البحث والتقصي.

4ـ قناة الأدب إبداعا ونقدا:

إن خروج الندوي بمشروع اتخاذ الأدب ونقده قناة هامة من قنوات إيصال الخطاب العقدي الإسلامي ينم عن وعي تام بخطر هذه القناة وأهميتها، ولا يعد ذلك غريبا عنه فهو الداعية إلى الله، المفكر والأديب، فاجتماع هذه السمات الثلاثة في تكوينه هي التي أهلته لولوج هذا الميدان الرحب، والصعب في آن، فهو على رحابته لا يتسع للجميع إلا من كان له مراس ودراية ودربة. يقول عبد الباسط بدر عضو رابطة الأدب الإسلامي عن الندوي في تقديمه لكتابه "نظرات في الأدب": " صحيح أن كثيرين يجمعون بين الأدب والفكر – فمن خصائص عصرنا تداخل الأدب والفكر إلى حد التلاحم – وكثرين يجمعون بين الأدب والدعوة إلى الله، فلا يخلو بلد إسلامي من أدباء إسلاميين، وغير قليلين من معاصرينا يجمعون بين الفكر والدعوة إلى الله، ولكن الذين يمسكون الخيوط الذهبية الثلاثة: الأدب والفكر والدعوة في آن واحد قليلون جدا في عصرنا هذا منهم: محمد إقبال، وسيد قطب وصاحب هذا الكتاب"[7] والندوي في دعوته إلى اتخاذ الأدب ونقده قناة لتمرير الخطاب العقدي، لم يدع غيره ويستثني نفسه، بل دعا إلي ما عمل به هو شخصيا، فقد ألف في القصة والسيرة وأدب الطفل وأدب الرحلة، وألف كتاب "نظرات في الأدب" وهو كتاب تنظير

وتقعيد الأدب ونقده.

كما دعا إلى إيجاد أدب إسلامي يحمل هموم الأمة، ويوصل العقيدة الصافية للناشئة، وتقوم سلوكها ولم تكن دعوة في فضاء فسيح تستحيل هباء، بل جسدها واقعا حيا فاعلا بتكوين رابطة لهذا الأدب تبحث قضاياه وتضع خططه، وتعمل على تحقيق أهدافه، فاستقبل أول مؤتمر لهذه الرابطة في ندوة العلماء سنة 1981م بلكنهوء[8]، ونصب رئيسا لهذه الرابطة باعتباره الداعي لها والمنظر لأفكارها. يقول علي الطنطاوي رحمه الله " وأنا أقول هذا هنا لأن أخانا – أبا الحسن – فوق عنايته الدعوة إلى الله، وأنه ركن من أركانها، وعضوا من أعضائها، يهتم بالأدب الإسلامي، وقد أنشأ له هو وأخونا الأستاذ عبد الرحمان رأفت الباشا رحمة الله عليه – وآخرون رابطة تربط أهله، تجمعه وتشد من أزرهم وتعينه في أمورهم ".[9]

4-1- الأدب عند الندوي: مفهومه، طبيعته، وظيفته:

إذا كان الأدب في تنظير المشتغلين به هو " إبداع جديد حي لما رآه الناس في الحياة، وما خبروه منها، وما فكروا فيه وأحسوا به إزاء مظاهرها التي لها عندنا جميعا أهمية مباشرة وباقية تفوق كل أهمية، وهو بذلك يعد بصورة أساسية تعبيرا عن الحياة وسيلته اللغة. ولكن من المهم أن نفهم منذ البداية أن الأدب يعيش بفضل الحياة التي تتمثل فيه"[10].

وهذا المفهوم للأدب لا يختلف عند الندوي عن ذلك، فهو القائل: "يفهم الأدب في أوسع معانيه، ويعتقد أنه تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم مؤثر لا غير"[11] لكنه يضيف إلى ذلك التعريف الوظيفة الإقناعية والتأثيرية. وأهم عناصر عند الندوي هي: الإخلاص، الصدق، الواقعية، فيقول:"إن أهم عناصر الأدب الصدق، وهما اللذان ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب، واللذان يهبان الأدب روحا وقوة وحيوية، ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة "

وهذه العناصر وإن تحدث عنها المنظورون الغربيون، فأنها عند الندوي تأخذ مسارا مغايرا: الإخلاص والصدق والواقعية من منظور العقيدة الإسلامية لا من منظور تلك الفلسفات.

كما يعترف في الأدب بثنائية الأدب الطبيعي / الأدب المصنوع ؛ لكنه يفضل الأول لنقائه وحيويته وقوته، وعظيم فائدته، فيقول: "نحن في عهد الزخرفة نحن نعيش في أدب مزخرف،

ولكن حاجتنا وحاجة هذا العهد، وحاجة العالم العربي بصفة خاصة هي الأدب الهادف السليم الدافق بالحيوية، المتدفق بالقوة الذي يحمل رسالة سامية سماوية إنسانية إسلامية عالمية "[12]، ويشبه الأول منهما بالإنسان والثاني بالصورة لما بين الإنسان والصورة من فرق.[13]

ومن أمثلة الأدب الطبيعي التي تغافل عنها المشتغلون بالأدب في نظر الندوي:الأدب الذي تحتويه كتب الحديث، والسير، والمغازي، والتاريخ...يقول في ذلك:"...هذه القطع أصدق تمثيلا للغة العربية وأدبها الرفيع ومحاسنه من كثير من الكتب المختصة بالأدب.ومن كثير من المجاميع والرسائل والمقامات الأدبية التي تعتبر أساس الأدب وزهو العربية ومحصول العقول...إن هذه القطع والنصوص منثورة كما قلت في كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم والرحلات، وفي كتب ألفت في الإصلاح والدين والأخلاق والاجتماع. وفي بحوث علمية ودينية، وفي كتب الوعظ والتصوف... "[14]

ويلفت إلى قضية هامة في شأن الأدب، وهي ضرورة إعادة النظر في المكتبة العربية لانتقاء ما كان مطمورا مغمورا من الأدب الطبيعي؛ لأنها كتابات منبعثة من القلب والعقيدة، مفعمة بالقوة والروح، مستكملة لعوامل البقاء والخلود.

كما يلفت الانتباه إلى أدب شبه القارة الهندية الذي ظل في طي النسيان أو مجهولا لا يعلم عنه غير أبناء بيئته، فسلط الأضواء الكاشفة ليرى، وألهب الحماس ليحس ويقبل عليه، كما أثبت انتمائه إلى الأدب العربي والإسلامي؛ لأن من أصحابه مَنْ كتب بالعربية، وآخرين كتبوا بالأوردية، والفارسية. يقول الندوي في علماء الهند وأدبائها: " من سمات علماء الهند البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الإنشائية في شبه القارة الهندية، وكانوا من الدعائم القوية السامقة التي قام عليها أصر الأدب الرفيع، والنثر الفني بعد ثورة 1857م، وكان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة لا يزال لها أنصار وأتباع ومقلدون ".[15]

ثم يقرر الندوي أن لا وجود للفصام النكد بين علوم الدين والأدب العصري ولغة البلاد، ولم تكن هناك فجوة بين علماء الدين والشادين بالأدب والشعر والهائمين بهما[16]، مثل ما كان مشاهدا في الشرق العربي.

ثم ينتهي إلى الإفصاح عن طبيعة الأدب الذي يفضله وعن وظيفته في الحياة، فيقول: "ولكن

حاجتنا حاجة هذا العهد وحاجة العالم العربي بصفة خاصة، هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية، المتدفق بالقوة، الذي يحمل رسالة سامية سماوية إنسانية إسلامية عالمية"[17].

ويقول أيضا: "إن الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة وللتأثير في النفس الإنسانية".[18]

وهذه النزعة في الأدب يعترف بتأثره فيها بالعلامة محمد إقبال، فيقول: " اسمحوا لي أن أقرأ أمامكم سطورا تدل على ما كان يعتقده شاعرنا العظيم محمد إقبال وهي تدل على نظرته إلى الأدب، وعليها بنى أدبه، وعلى ذلك قامت مدرسته الشعرية الفكرية الفلسفية الهادفة ".[19]

ويقتبس من أقوال إقبال ما نصه:"يا أهل الذوق والنظر العميق أنعم وأكرم بنظركم، ولكن أي قيمة للنظر الذي لا يدرك الحقيقة ؟ لا خير في نشيد شاعر، ولا في صوت مغن، إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس ".[20]

ويقول:" لا بارك الله في نسيم السحر إذا لم تستفد منه الحديقة إلا الفتور والخمول والذوي والذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم والأدب لوعة الحياة الدائمة ما قيمة شرارة تلتهب سريعا وتطفئ سريعا ؟ وما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدفة لامعة لا تحدث اضطرابا في الأمواج ولا اضطرابا في البحار؟ لا نهضة للأمم إلا بمعجزة، ولا خير في أدب ولا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى ".[21]

ويستدل الندوي على أهمية البعد الوظيفي للأدب بالأدب الحي الخالد الموروث عن الأدباء والكتاب القدماء، فيقول: "كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة يكتبون لأنفسهم، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين فتشتعل مواهبهم، ويفيض خاطرهم، ويتحرق قلبهم، فتنهال عليهم المعاني وتطاوعهم الألفاظ، وتأثر كتاباتهم في نفوس قرائهم، لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا في قلب".[22]

4-2- مؤلفات الندوي الأدبية:

إن الندوي يصدر عن رؤية في الأدب، تعطي الأدب بعدا حضاريا وأهمية بالغة في صناعة التاريخ، فهو كثيرا ما يكرر هذه العبارة:"إننا نحتاج إلى أدب ينفخ في نفوسنا حياة جديدة وروحا جديدة".[23]

أي نحتاج إلى أدب حي يحمل رسالة حضارية تهدف إلى التغيير إلى الأفضل، وتكوين فرد ومجتمع مسلم وفاعل متوقد لإنجاز شيء له قيمة في الحياة، واستكمال البناء الحضاري المتوقف منذ قرون. لهذه الغاية ركز الندوي في مؤلفاته الأدبية على الطفل لعلمه أن بداية التغيير الصحيحة تبدأ من هذه المرحلة في حياة الإنسان، فالبذرة تحفظ في التربة الملائمة لنموها لا التربة التي تسممها، وتجعلها لا حيّة ولا ميّتة، كما اهتم بأدب الرحلات ليطلع أبناء الأقطار الإسلامية على الحياة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والمستويات الحضارية التي تعيشها المجتمعات التي زارها.

بالإضافة إلى عنايته بأدب التراجم الذي كان تقليدا معروفا في أسرة الشيخ الندوي التي كان أكثر اشتغالها بالتأليف في تراجم الرجال وتاريخ الهند الإسلامي.

4-2-1- أدب الطفل عند الندوي ومؤلفاته فيه:

تنوعت كتابات الندوي للطفل، فكتب القصة وتحديدا "قصص النبيين للأطفال" و"قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال"، والسيرة وأحسن مثال لها "سيرة خاتم النبيين للأطفال"، والنصوص الموجهة، ومثالها "القراءة الراشدة"، وغير ذلك، وسنقتصر في هذه المحاولة على جنس واحد من الكتابات الأدبية، وهي القصة.

- **القصة:** هي جنس أدبي يحقق إثراء الفكر وإمتاع الوجدان، يحقق من خلاله المؤلف غايات لا تتحقق بسواها لتعلق الطفل بالقصة واستمتاعه به ورغبته فيه. فكتب فيه الندوي لعلمه بذلك، وليستبدل ما بأيدي الأطفال من قصص الحيوانات والوحوش قصصا واقعية من حياة الأنبياء والمرسلين، ومن التاريخ الإسلامي الحافل بالأفذاذ من هذه الأمة ليربي في هذا النشء القدوة الصالحة ويغرس في ضمائرهم الخلق النبيل، وفي سلوكهم الأعمال الصالحة المثمرة. يقول موضحا غرضه من كتابه القصة للطفل:"ابن أخي العزيز ! أراك حريصا على القصص والحكايات..." ولكنني أتأسف لأني لا أرى في يدك إلا حكاية السنانير والكلاب والأسد والذئاب والقردة والدباب.. ولكني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنك من القصص العربية إلا قصص الحيوانات والأساطير والخرافات، فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين عليهم صلاة الله وسلامه بأسلوب يناسب سنك وذوقك ففعلت ".[24]

فكان كتابه "**قصص النبيين للأطفال**" في خمسة أجزاء. وقد التزم في هذا الكتاب بما يلي:

-"أن تكون ثروة الألفاظ فيه أقل قليل، ولكنها تنقش في ذهن الطالب، بكثرة التكرار والإعادة.

- أن يكون الكتاب في لغة القرآن، وتوضع الآيات الكريمة في محالها، كالفص في الخاتم.

- أن يشتمل على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد، الرسالة، البعث)، وتلقينها للطالب بطريقة عفوية.

- أن تبسط القصص وتزود الأطفال بما يكرّه إليهم الكفر والشرك والمعاصي، ويحبب إليهم الإيمان والعقيدة، ويرسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء، وجلالة مكانهم، وكل ذلك بطريق لا يشعر الطالب بثقله، وأنه يلقى عليه، بل يتلقاه ضمنا وعفوا وينسجم معه"[25].

واحتلت هذه السلسلة القصصية مكانة هامة لدى القراء والنقاد وكبار العلماء حتى قال عنها أحد كبار علماء الهند: " إنها علم توحيد جديد للأطفال "[26] كما أثنى عليها أديب، وناقد كبير وهو سيد قطب فقال: "لقد قرأت كثيرا من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشاركت في تأليف مجموعة (القصص الديني للأطفال في مصر) مأخوذا كذلك من القرآن الكريم، ولكن أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصص جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما حوى من توجيهات دقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة، حوادثها ومواقفها، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة، لكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار".[27]

أما مجموعته القصصية الثانية فهي؛ "**قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال**"، فهي قصص يغلب عليها أسلوب الخطيب الداعية، فكانت قصص موجهة. ومن ملامح التوجيه فيها نذكر:

أ-**الضمائر والعلاقات:** هذه القصص موجهة للأطفال في سن يتراوح بين التاسعة والثانية عشر أي مرحلة الطفولة المتأخرة، وهي مرحلة يستطيع فيها الطفل استعمال القياس، وإدراك بعض العلاقات، فاستثمر الشيخ الندوي هذه المعطيات في توصيل الفكرة العقدية وهي وصول الميت إلى عالم الآخرة، واجتماع الشهيد برسول الله ﷺ.[28] وهي فكرة تجسد العلاقة

بين المسلم والرسول، والأمة عموما برسولها الكريم، يدركها الطفل انطلاقا من قياس علاقة الابن بأبيه. وقد عبرت عن هذا كله قصة الرجل الذي جاء إلى أبي عبيدة يوم اليرموك متهيأ للشهادة يسأله هل لك من حاجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟[29]

ومن الأساليب التعبيرية التي جسدت التوجيه في القصة هيمنة ضمير الخطاب (الكاف)[30]، فقد عمد الندوي إلى خطاب الطفل مستعملا كاف الخطاب ليجسد قوة الاتصال بين المرسل والمستقبل، فيتأكد التواصل المرجو بينهما، وحسن التلقي بين الطفل والعمل الأدبي.

ب- الاستفهام وأثره في تشكيل الحدث:

الاستفهام وسيلة تعبيرية تكشف عند الندوي عن الحس الخطابي الموجه التي يستخدمها للشرح والتفسير في القصة. وكمثال على ذلك قصة اختباء رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور في طريق الهجرة إلى المدينة، فيقول: " وكيف يدخل أحد الغار، ولا يقطع نسيج العنكبوت ويبقى على حاله؟ "[31] وهو سؤال لم يقدم الندوي إجابة عنه لكنه أسهم في تشكيل الحدث في القصة كما أسهم في الشرح والتفسير، وذلك أن السؤال تضمن الحدث الأبرز في القصة –وهو حفظ الرسول وصاحبه- وعليه بني عنوانها (الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين)، أما كونه شارحا مفسرا؛ فلأنه يوضح استبعاد دخول الغار، من قبل أي أحد لعدم قطع نسيج العنكبوت، فلو دخل أحدهم لم يبق على حاله.

ج- التوجيه من خلال التاريخ الإسلامي:

فتح الندوي عقول الناشئة على نافذة من التاريخ الإسلامي كانت مجهولة بالنسبة للكبار فضلا عن الصغار، وهو تاريخ المسلمين ونضالهم في الهند من أجل عقيدتهم والدعوة إليها. جسد الندوي ذلك في آخر قصتين من قصصه للأطفال من التاريخ الإسلامي وهما: " فمن عفا وأصلح فأجره على الله "، وهي قصة تحمل مضمونا أخلاقيا مهما، وهو مقاومة البغي، والعفو والإصلاح بين الناس، و"ورجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه "، وهي قصة مجموعة من الفدائيين المسلمين المقاومين للمستعمر الإنجليزي، والذين استقبلوا الشهادة في ثبات، ومن أبطال هذه القصص الإمام السيد أحمد ابن عرفان الشهيد (1201- 1246ه) الذي بويع بالإمارة سنة1241ه وأنشأ دولة إسلامية على الحدود الشمالية للهند.قاومت المستعمر

الإنجليزي وروّعته. فكان بعرض هذه القصص يوجه النشء لمعرفة تاريخه، وأخذ العبرة والقدوة[32].

4-2-2 – أدب الرحلات:

إن الندوي تربطه بالسفر والرحلة أواصر عشق قديم لا للسياحة بل طلبا للاطلاع على أحوال المسلمين، ونشرا لدين الله بين الناس، يقول عن دوافع هذه السياحة: " خرج مؤلف هذا الكتاب في مفتتح سنة 1951م، في رحلة إلى عواصم الشرق العربي، ليدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي، والاجتماعي، ويتعرف برجالاتها، وقادة الفكر فيها ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية، والقضايا الإسلامية، والمناهج الإصلاحية، والمشاريع التعليمية، ويعرفه ببلاده " شبه القارة الهندية " التي أسدلت عليها حجب كثيفة، وأثير حولها نقع كثير، وعاشت في عزلة عن العالم العربي منذ فترة طويلة... "[33]

وخلال هذه السياحة تكوّن أدب رحلة للشيخ رحمه الله لكونه كان حريصا على كتابة كل مشاهداته وانطباعاته، وتسجيل الأحداث التي يمر بها تسجيلا مباشرا، ولم يقتصر جهد الشيخ على هذا العمل، بل تعداه إلى التنظير. وكان يكتب في مواصفات أدب الرحلة التي ينبغي أن يكون عليها.فخرج بآراء طريفة في هذا الشأن نذكر منها:

1- يدعو الندوي الرحالة إلى أن يهتم بإعطاء نظرة شاملة للمجتمع الذي يكتب عنه، فكثير من كتب الرحالات يغلب عليها الجانب الجغرافي فيقول:"لقد كثرت كتب الرحلات في هذا العصر لنشاط حركة التأليف والنشر، وليسر السفر في هذا الزمان... فكان يغلب عليها الجانب الجغرافي، وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء، ولا تصور في الغالب إلا جانبا من جوانب الحياة يتلاءم مع ذوق المؤلف، أو يتجاوب مع غرض رحلته وهدفها "[34]

2- ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات لكون الذاكرة تخون وتنسى بعض الأحداث والتفاصيل، فلا يوثق في انطباعات هي أشبه بالظلال والأمواج، ليقول:"فمما لا شك في أنه لا ثقة بالانطباعات التي هي أشبه بالظلال والأمواج، فلا تدوم ولا تبقى ولا يستطيع الإنسان أن يستعرض ما شاهده، ولا يستطيع أن يستعيد ما شعر به وما ترك الحادث فيه من أثر نفسي وما هاج من إعجاب أو امتعاض أو لذة أو ألم ".[35]

3- يؤكد الندوي دائما على أهمية ظهور شخصية الأديب في أدب الرحلة؛ فلابد أن يعكس عاطفته وعقيدته في عمله، ذلك أن العمل المجرد عن العاطفة والعقيدة، ومشاعر النفس وأحاسيسها، إنما يمثل مؤلفوه دور آلة التصوير، أو آلة التسجيل، فيقول:"... ثم إن أكثر هذه الكتب يتجرد عن العاطفة والعقيدة ومشاعر النفس وأحاسيسها، ويمثل فيها المؤلفون دور آلة التصوير، أو أداة التسجيل من غير تعليق على ما يشاهدون..."[36]، ويرى أن الكتابة الأدبية التي لا يستطيع قارئها أن يحدد زمانها وبيئتها، ولا يهتدي على عقيدة مؤلفها وفكره، والقيم والمثل التي يحبها، وينتصر لها، هي كتابة مصطنعة لا تؤثر في النفس، ولا تصلح للبقاء"[37].

وسنختار من كتب الشيخ في أدب الرحلة كتابين: "مذكرات سائح في الشرق العربي" و" أسبوعان في المغرب الأقصى " وهما يجسدان منهجه في كتابة أدب الرحلة، والمضامين التي يروم توصيلها من خلال هذا اللون الأدبي.

أ- مذكرات سائح في الشرق العربي:

الكتاب يؤرخ لرحلة قام بها الشيخ سنة 1951 م إلى عواصم الشرق العربي لدراسة وضع هذه الأقطار الديني والعلمي والاجتماعي، وللتعرف على رجالاتها، وقادة الفكر فيها، وبحث الشؤون الدينية والعلمية، والمناهج الإصلاحية، والمشاريع التعليمية، فحرص فيما كتبه عن هذه الرحلة بما نظر له فكان يسجل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالبا، وكان يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، ..."[38]

كما التزم بإبداء آرائه وملاحظاته، وانطباعاته على إثر كل مقابلة أو زيارة، أو حديث أو مشهد، وما أحدثه الحادث من رد فعل أو أثر نفسي، وأن يسجل كل ذلك في أسلوب صريح ومكشوف بعيد عن الغموض والتحفظ.[39]"فهو وصف وتصوير عن إنسان حي يحمل القلب والعاطفة والعقيدة، ويؤمن بمبادئ وقيم ومثل، ويحب هذه البلاد التي يزورها "[40]

ومما يلفت الانتباه في هذا المؤلف هو اهتمام الشيخ بأسلمة الأدب، وضرورة قيام جبهة قوية ضد الأدب المنحرف الذي أثر تأثير سيئا في الأمة، ففسدت الطبائع والأخلاق، وكان مساهما في التردي الحضاري الذي تعانيه[41].

ويجدر التنبيه في هذا المقام إلى أن الندوي قد حذر مرارا من الدور الخطير للآداب الغربية،

وآثارها المختلفة، في مواطن أخرى من كتبه[42]، منها: قوله: " ثم هناك الطابور الخامس، وهو ذلك الأدب المسلول المسموم، الذي ولدته الثورة الفرنسية، وأرضعته الفوضى الخلقية في أوربا، وغذته الشيوعية، ذلك الأدب الخليع المستهتر، الذي ينبت في القلوب النفاق ويسقي غرس الشهوات، ويقوّض دعائم العمران، ويفسد نظام الأسرة، ويسخر من كل فضيلة، ويستهين بكل أدب ونظام، ويزين للقارئ مذهب اللذة والانتفاع، وانتهاز الفرص، يلخص التاريخ ويوجز الفلسفة والعلم في حب المال والميل الجنسي، ويصور العالم كله، كأنه ليس إلا ظهور هاتين العاطفتين، وليس وراء ذلك حقيقة علمية، ومبدأ سام أو غرض شريف"[43].

وكان أسلوبه في كتابة هذه المذكرات يتميز بوضوح العبارة، وسلامة اللفظ، دقة المعنى، الاسترسال مع البعد عن التكلف.

ب- أسبوعان في المغرب الأقصى:

هذا الكتاب دوّن لرحلة قام بها الشيخ إلى المغرب الأقصى سنة 1976 لحضور مؤتمر حول الجامعات الإسلامية. زار خلال هذه الرحلة هذا البلد الجميل واطلع على أثاره ومكتباته، وتعرف على شعبه وعلمائه، وكتب هذه المذكرات التي عبر فيها عن مشاعره وانطباعاته بأسلوب جميل بليغ، يغلب على هذه المذكرات الطابع التاريخي، إلا أن كاتبها يحرص على تسجيل انطباعاته عند كل مشهد أو موقف يتعرض له، فجاء كتابه مصورا لجوانب مختلفة يعيشها المجتمع المسلم، ومعبرا عن شخصية الكاتب الذي يصدر دائما عن فكره وعقيدته وعاطفته حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء.

ودارت فكرة الكتاب حول الأزمة الإيمانية والأخلاقية التي تعيشها الأمة، والتي عاين بعض شواهدها، في رحلته للمغرب الأقصى، فكتب يصف هذه الأزمة قائلا: "ألق نظرة على العالم الإسلامي وأنظر ماذا يعوزه إنه غني بكل شيء: بعدد أفراده، بوسائله وبثرواته وبثقافته وبذكائه، ولكنه رغم ذلك كله لا يملك ثقلا في الميزان العالمي، ولا دورا مؤثرا في اتجاهات العالم وأوضاعه وحوادثه، والأزمة الإيمانية هي سبب هذا التراجع الحضاري"[44].

ويدعو الشيخ إلى ضرورة التمسك بقيم الحضارة الإسلامية، وطابع الأمة الخاص، مع الاستفادة من الحضارة الغربية في مجالاتها الإيجابية وتجاربها المفيدة التي تتفق مع تعاليم

الإسلام، حتى يتسنى لأمتنا استعادة عزها ومكانتها في العالم.

4-2-3- أدب التراجم:

كتب الندوي في هذا الفن تأثرا بالإرث الأسري، وما دأب عليه أجداده وآبائه من الولوع بالتاريخ والتراجم والسير. ولم يكن هذا السبب الأساس في دفعه للكتابة فيه، بل كان الغرض الرئيسي هو تمرير ما يحمله من أفكار دعوية، لينشئ القدوة الصالحة في نفوس القراء، فيتعلمون الكثير من الإخلاص والأخلاق، وعلو الهمة، والاهتمام بالأمة وقبل استعراض منهجه التجديدي في هذا الفن نعرف بأدب التراجم ومنهجه قبل الندوي.

يُعرف فن التراجم بأنه: نوع من الكتابة الذي يترجم للرجال، ويعرف بهم ويذكر نشأتهم وأخبارهم ويتحدث عن مؤلفاتهم ومآثرهم العلمية، وخصائصهم النفسية، ومكانتهم الاجتماعية، مما يستخلص منه الكثير من القيم الفكرية والثقافية والاجتماعية للعصر الذي عاشرا فيه[45].

عرف هذا الفن منذ القديم منذ أن اهتم العلماء المسلمون بطبقات المحدثين والصحابة وطبقات النحويين واللغويين، وطبقات الكتاب والشعراء...

يشهد هذا الفن تطورا عبر العصور في الطريقة والمنهج، فكان في البداية مقتصرا على المعلومات والأخبار، ثم بني على قواعد وعناصر تلتزم الدقة والتحري في عرض الأحداث ونقل الأخبار.

وكان ابن خلكان (681هـ) في كتابه "وفيات الأعيان" يتحرى الوصف الدقيق وشمولية الخبر، ووضع الصفة مكان الموصوف، يقول عنه الندوي في ذلك:"وبهذه الخصيصة امتاز العلامة شمس الدين أحمد ابن خلكان(681هـ) في كتابه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" من بين مؤلفي كتب الترجمة والسير، فإنه إذا وصف أحد من المترجمين بقوله النحوي أو الفقيه، أو الأديب، أو المفسر، أو اللغوي، أو الواعظ، فليس من الميسور زحزحته عن مكانه الرئيسي والاختصاصي ووضعه في طبقة أخرى".[46]

أما منهج الشيخ الندوي في هذا الفن، فهو يجمع بين القديم والمعاصر ويظهر منهجه ذاك في كتابه "شخصيات وكتب" الذي يشتمل على مجموعة من التراجم لشخصيات إسلامية

مرموقة في شبه القارة الهندية والعالم العربي بداية بالشيخ محمد إلياس الكندهلوي وانتهاء بالأديب مصطفى السباعي.

والمنهج الذي وضعه الندوي لمن يكتب في هذا الفن هو مجموعة شروط ومعايير يتقيد بها لتحقيق ما يصبو إليه من وراء كتابته في هذا الفن[47]:

1- المعرفة الشخصية للمترجم له معرفة واعية ناقدة عن طريق المعاشرة والصحبة أو عن طريق الدراسة وتتبع الأخبار.

2- القدرة على التعبير وتصوير أحوال المترجم له، وبيان أخباره وأثاره، ولا يكون ذلك إلا بامتلاك ثروة لغوية.

3- الدقة في نقل الخبر والأمانة عند روايته، والشعور بالمسؤولية، والصدق عند إلباس المترجم له لباسا على قياسه.

4- توافر الدوافع النبيلة، والرغبة في الترجمة لشخصية دفاعا عنها أو رد الاعتبار لها، أو وفاء بالفضل، إعجاب بجمال أو كمال، أو تجاوبا مع فكرة.

5- اختيار الكلام المعبر عن حقيقة المترحم له، ووضع الكلمات والمصطلحات في مكانها لتدل على الوصف المناسب.

وبهذا الندوي ينهج نهجا جديدا في أدب التراجم اقتضته معطيات الحياة المعاصرة، وما يحمله من المسؤولية والأمانة التي يعمل من أجلها. فكان مختلفا عن القدامى في تقديم عناصر الترجمة من اسم ولقب وكنية وما إليه مما عرف قديما، لكنه كان يهتم بإبراز الشخصية الدينية والعلمية للمترجم له، وأخلاقه وصفاته، ومدى تأثيره في مجتمعه، وتضحياته وجهاده في سبيل الإسلام، فيحلل هذه العناصر يجعل القارئ يزداد حبا للشخصية، وارتباطا بها، ثم يصل ذلك بأحداث العصر وقضايا الأمة الإسلامية، ليصبح المترجم له قدوة يتبع ومثالا يحتذى، كما أن اختياره للشخصيات والجوانب المميزة فيهما، يلبي حاجة واقعية، فيختار من الشخصيات العلمية والروحية ما يتقاطع مع قضايا الراهن. ويكشف الندوي أن سبب اختياره الترجمة لرجال الفكر والدعوة الذين نذروا حياتهم لخدمة الدين وإعلاء كلمة المسلمين هو البحث عن أساليب في تجديد الدعوة الإسلامية، ومقاومة التيار المادي الغربي

الذي يعصف بالعقول والقلوب في المجتمعات الإسلامية، فيرى أن خير وسيلة لإشعال المواهب وإثارة الروح وتقويم الأخلاق والعزم على مكافحة البيئة الموبوءة والمجتمع الفاسد، والتسامي لمعالي الأمور هي سير عظماء الرجال، وزعماء الإصلاح والتجديد والربانيين والصديقين..."[48].

أما عن أسلوب الشيخ في كتابة هذا النوع من الأدب، فكان يتميز بسهولة الألفاظ، ووضوح المعاني، والإمتاع، والإفادة بمعلومات كثيرة، التأثير في وجدان القارئ، وجعله يعيش متعة روحية من خلال حياة الأشخاص الذين يترجم لهم.

5- محمد إقبال نموذج الأديب الموجه للأدب والشعر في نظر الندوي :

تأثر الندوي أيما تأثر بتوجه محمد إقبال في الأدب بعامة والشعر خاصة، فصاغ مفهومه للأدب بتأثير تلك النظرة التي كان الشاعر الفيلسوف يحملها عن الأدب، وقد صرح الندوي بذلك في أكثر من مناسبة، فقال: "هذه هي نظرة إقبال إلى الشعر والأدب، وقد كان ذلك في الحقيقة ثورة في تاريخ الأدب، وفي تاريخ الشعر، وفي عالم الأدب والشعر، إن الله سبحانه وتعالى قد قيض في هذا العصر الأخير رجلا جمع بين دراسات عميقة دقيقة للفلسفات القديمة والفلسفات الحديثة وللفنون والآداب، فقد عاش محمد إقبال في أوربا فترة طويلة في كبرى جامعاتها، وقدم رسالة علمية ذات قيمة، وعاش بين كبار النوابغ وكبار المفكرين في أوربا، ولكن الله اختاره لرسالة إسلامية إنسانية عالمية، واختار هو لتبليغ رسالته لسان الأدب ولسان الشعر..."[49].

ثم يقول عنه أنه مدرسة أدبية بحيالها: "... إنه أنشأ مدرسة جديدة في الشعر، وأثر في تفكير الشعراء والأدباء، وأحدث تراكيب جديدة وأخيلة جديدة، ومعاني جديدة."[50]

ويرجع الندوي تربع إقبال على عرش المملكة الشعرية لعوامل عدة ذكر منها ثلاثة:

أولا: قوة العقيدة وليس معناها قوة العقيدة في صحة الإسلام فحسب، فهذا ما عليه كثير من الناس، لكنه كان قوي العقيدة في صلاحية الإسلام للخلود. فأثر بهذه العقيدة في الجيل المثقف الجديد في شبه القارة الهندية. وكما أثر بأسلوبه الأدبي، فما من أديب وشاعر إلا وقد تأثر بإقبال في الألفاظ، وفي التعبير، وفي التراكيب وفي الأخيلة وفي الاستعارات والمجازات.

ثانيا: قوة شخصيته، لأن الأدب لا يقدر على التأثير حتى يكون وراءه شخصية قوية، تفرض أثرها وفكرها ومدرستها، ومنهج تفكيرها[51].

ثالثا: قوة عاطفته، فقوة العاطفة هي التي تضفي على الأدب القوة والخلود، وصلاحية الانتشار، والحلول في قرارة النفوس. وهذه العاطفة مكنته مما وصل إليه، لأنه حدد مركز الحب لديه، فكان الإسلام مركز حبه، فامتلك قوة العقيدة وقوة الاعتزاز بهذا الدين، فكان يرى الإسلام دين الإنسانية، والرسول محمد ﷺ المثل الكامل للإنسانية، فكان يقول في شعره: " إن السيد الذي داست أمته تاج كسرى كان يرقد على الحصير، إن السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت لا يكتحل بنوم، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وجدت أمة، ووجد دستور، ووحدت دولة ".[52]

ويرد الندوي اهتمام العالم شرقا وغربا بشخصية إقبال وشعره لهذه العوامل الثلاثة المذكورة، فيقول:"... ما نال شاعر أوربي في اللغات الحية مثل الإنجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية والعربية مثل هذا الاهتمام . سواء بسيرته أو شاعريته أو مدرسته الفكرية . كما نال إقبال؛ لا شكسبير (shakespeare) ولا ملتون (milton)، ويرجع السبب في ذلك لقوة شخصيته أولا، وقوة العقيدة ثانيا، وقوة العاطفة ثالثا".[53]

ويفاضل الندوي بين إقبال وبين شعراء العالم العربي من معاصريه فيقول: "إن العالم العربي والحمد لله غني بكبار العلماء، غني بالمفكرين، غني بالمؤلفين، غني بالجامعات، غني بالمكتبات لكنه لم يرزق شاعرا عبقريا مثل إقبال، لقد كان شوقي أمير الشعراء في عصره ومصره، وله مواقف إسلامية ونغمة إيمانية في الشعر العربي الحديث، ويليه حافظ إبراهيم، ولكنه ما جاء على أفق العالم العربي من المغرب إلى المشرق من يقوم مقام محمد إقبال"[54].

ويعزو الندوي هذه المكانة لإقبال وشعره بفضل قوة وبلاغة هذا الشعر وما يحركه في القلب والوجدان، فيقول:"... فيقول الشعر الإسلامي القوي البليغ، المثير الذي يحرك أوتار القلب، ويكهرب الجو، ويتغلغل في أحشاء المجتمع العربي الإسلامي، وفي أحشاء الأدب العربي، وهذا هو الدور القيادي الثوري في الأدب والشعر الذي مثله محمد إقبال في عصره وبيئته "[55].

كما يثير تساؤلا حول عدم نهوض شاعر إسلامي في العالم العربي مثل إقبال، وغيره من شعراء

الهند المتميزين أمثال ألطاف حسين حالي[56]، والسيد أكبر حسين الإله أبادي[57]، ظفر علي خان[58]، هذا التساؤل يدعو الندوي من خلاله إلى وجوب التركيز -في الأدب والنقد وتاريخ الأدب في البلاد العربية – على بحث الأسباب الداعية إلى ذلك.

ويدعو الشيخ بعد استعراض هذا النموذج الخالد إلى كون العالم الإسلامي بحاجة إلى أدب ينفخ في النفوس حياة جديدة وروحا جيدة، ويعد هذا النوع من الأدب هو الأدب الحي، فيقول "إننا نحتاج الآن إلى أدب ينفخ في نفوسنا حياة جديدة وروحا جديدة، هذا هو الأدب الحي، أشاد القرآن بقيمة اللسان البليغ وقوته، فوصف نفسه بأنه قرآن عربي مبين[59]، ويحذر في الوقت نفسه من الأدب المزخرف القائم علي التزويق والتنميق ولا طائل تحته، فيقول: "نحن نعيش في أدب مزخرف ولكن حاجتنا وحاجة هذا العهد وحاجة العالم العربي بصفة خاصة، هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية المتدفق بالقوة الذي يحمل رسالة سامية سماوية، إنسانية إسلامية عالمية"[60].

وهكذا نجد شيخنا الندوي، يضرب في الآن نفسه عصفورين بحجر واحد، يمرر العقيدة التي طالما دافع عنها وأرادها أن تصل صافية نقية لمتلقيها، واختار لها في الوقت نفسه وعاء يحفظها وتحفظه، بأن تجعله أدبا راقيا إنسانيا، مؤثرا معبرا عن آلام وآمال الأمة، دافعا لها نحو مستقبل أفضل وأسعد، وأرغد .

الخاتمة:

يعتبر ما جاء في هذا المقال محاولة لإلقاء الضوء على مظهر من مظاهر التجديد في الخطاب العقدي عند الندوي، وأعتبر هذه المحاولة نافذة تساهم في استقصاء بقية مظاهر ذلك التجديد، تساعد الباحثين على استكمال هذا المشوار، وتذلل بعض الصعاب التي تكتنف الولوج إلى تلك الغمار، وأخلص في نهاية هذه المحاولة إلى التذكير بجهود الندوي التجديدية ويقظته مبكرا لاستغلال هذه الوسيلة ألا وهي الأدب بكل أجناسه وأنواعه لتمرير الخطاب العقدي، وتأكيده على أهميته في تنشئة الجيل الجديد، من خلال القصة الهادفة، والنص الموجه نحو ما يبني شخصيته السليمة وعقله الواعي وحسه العاطفي المرتبط بهذا الدين ورسوله الكريم.

كما تبني هذه الوسيلة شخصية الشاب المسلم وتقوي صلته بدينه، وتحدد له أهداف

كفاحه وتقوّم أخلاقه، فيكون نموذج المبدع القوي بشخصيته وعقيدته وعاطفته، كما كان محمد إقبال مثال الشاعر المفكر العبقري الذي بذ الشعراء طرا شرقا وغربا كما يراه الندوي.

وبذلك ميز الندوي الإبداع والمبدع ووضع لهما خصائص، وجعلهما في خدمة الدين؛ فلا تقوم قائمة لهذه الأمة في استبعاد دينها عن مناحي الحياة المختلفة، وقصره على دور العبادة، فأعاد لهذا الدين بمشروعه التجديدي محل المركز، بجعل الأدب وسيلة للخطاب العقدي ينتقل من خلالها، ولا يعني ذلك إغفاله للوسائل القديمة؛ إذ مجالها التخصصي يجعل لها مقاما خاصا في قاعات الدرس بالجامعات وحلقات العلم، أما الخطاب الذي أراد الندوي إيصاله، بهذه الوسيلة هو الخطاب الموجه للعقل العام فلا يمكن لتلك الوسائل أن تنقله، فتخير له القصة، وأدب الرحلة، والتراجم، وسائر أجناس الأدب التي يقبل عليها الجمهور بشغف كبير، ليضمن لهذا الخطاب سهولة الوصول والإدراك، وسرعة الانتشار والذيوع.

- الحواشي والإحالات:

---

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج1، ص361.

[2] ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش محمد المصري، ط:2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998، ص419.

[3] الآمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ط:2، تح: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986، ج1، ص136.

[4] أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ط:1، دار البشير، عمان، الأردن، 1990، ص113.

[5] المرجع نفسه، ص105.

[6] أبو الحسن الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ط:4، قسنطينة، مؤسسة الإسراء، 1982م، ص37-38.

[7] أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص06.

[8] ينظر: عبد الباسط بدر، جهود الشيخ أبو الحسن الندوي في خدمة الأدب الإسلامي، ضمن كتاب الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، الأردن، 2002، ص557 وما بعدها.

[9] أبو حسن الندوي، في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، 1987، 12/1.

[10] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، ط:8، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 16.

[11] أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص35.

[12] المرجع نفسه، ص 113.

[13] المرجع نفسه، ص32.

[14] المرجع نفسه، ص34.

[15] المرجع نفسه، ص74 – 75.

[16] المرجع نفسه، ص75.
[17] المرجع نفسه، ص113.
[18] المرجع نفسه، ص105.
[19] المرجع نفسه، ص105-106.
[20] أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، دط، بيروت، الدار الشامية، 1999م، ص58.
21 المرجع نفسه.
[22] أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص32.
[23] المرجع نفسه، ص 110
[24] أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، ط:18، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1993، ص6.
[25] أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج1، ص 145-146.
[26] المرجع نفسه.
[27] أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال، مقدمة الكتاب، ص04.
[28] أبو الحسن الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، ط:4، دمشق، دار ابن كثير، دمشق، 2010م، ص57.
[29] ينظر: المرجع نفسه.
[30] ينظر: الفقرة الأولى من القصة، المرجع نفسه.
[31] المرجع نفسه، ص11.
[32] ينظر: المرجع نفسه، ص91.
[33] أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص: 65، 66.
[34] المرجع نفسه، ص64.
[35] المرجع نفسه.
[36] المرجع نفسه، ص65.
[37] أبو الحسن الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، ط:1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2001م، ص17.
[38] المرجع نفسه، ص17- 18.
[39] المرجع نفسه، ص18.
[40] المرجع نفسه، و نظرات في الأدب، ص 67.
[41] أبو الحسن الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، ص98-99.
[42] أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص243، وروائع إقبال، ص57.
[43] أبو الحسن الندوي، إلى الإسلام من جديد، ط6، دمشق، دار القلم، 1988م، ص 153-154.
[44] أبو حسن الندوي، أسبوعان في المغرب الأقصى، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998 م، ص113.
[45] ينظر: الحسين العربي رحمون، منهج التراجم ومعالم التجديد عند الشيخ أبي الحسن الندوي، ضمن كتاب الشيخ أبو الحسن الندوي بحوث ودراسات، ص373.
[46] أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص58.
[47] المرجع نفسه، ص: 57- 58، وشخصيات وكتب، دار القلم، دمشق، ص6-7.
[48] أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ط:11، الكويت: دار القلم، 1999م، ص7.

49 أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، ص106 – 107.
50 المرجع نفسه، ص107 – 108.
51 المرجع نفسه، ص107.
52 المرجع نفسه، ص110.
53 المرجع نفسه، ص108.
54 المرجع نفسه، ص112.
55 المرجع نفسه.
56 صاحب المنظومة الشهيرة في الهند " المد و الجزر في حياة المسلمين ".
57 عرف بشعره المقاوم للحضارة الوافدة الدخيلة المستعبدة، في أسلوب لاذع متهكم، وتنكيت قارض، ينظر: نظرات في الأدب، ص80.
58 له شعر قوي باللغة الأردية ينضح بالعاطفة الإسلامية وحب النبي ﷺ تجلت عبقريته في مقالاته الانجليزية اللاذعة، المتهكمة على الحكم الإنجليزي، فكان يحرص على قراءتها الحكام الإنجليز، ينظر: المرجع نفسه، ص82.
59 المرجع نفسه، ص110– 111.
60 المرجع نفسه، ص113.

The renewal of the method in the doctrinal discourse of (AQid'ah) at Abi Alhassan Annadoui. The model: literary writing

By: Djamel Lachraf
E.A.K. UNIVERSITY- Constantine & El-Oued University



Abstract

The objective of this article is to show the methodical renewal in the doctrinal discourse (of AQid'ah) in "Abi Alhassan Annadoui", which is manifested in the dynamisation of the mechanism of the literary writing, containing the notions of AQid'ah who will implant them later in the spirit and soul of the new generation.

This is practiced through the focus on Unity (Tawhid) and its dimensions, the belief in what is called the qualities of Allah and its moral and intellectual effect, This is practiced through the focus on Unity (Tawhid) and its dimensions, the belief in what is called the qualities of Allah and its moral and intellectual effect, Fuel the fires of friendship in the hearts and love of the Prophet Muhammad peace be upon him, and Deepening the relationship with him, insist on faith in the other day. all this at a time crept into many ideas and values, purely physical, to the minds and hearts of the sons of Islam through literary writing.

This article is an attempt to reveal the aspects of this renovating work, to put it under the light of the interested people of this subject in order to broaden and deepen the research, to collect the studies in this matter in order to serve our Our nation .

Keywords: the method, the doctrinal discourse (of AQid'ah), Abou Alhassan Annadoui, literary writings.